



في الربع العربي، دارت عجلة أخرى مضادة للعجلة الأمريكية التي غزت العراق، عجلة كانت تحمل بصيص أمل، خصوصاً وأن من خرج وتظاهر هم الشباب، غير أن عجلة الثورة المضادة سرعان ما دخلت حلبة السباق، لتقضى، أو تحاول، على ما تفخر من أمل.

في سوريا، كان الحال مختلفاً، عجلة الثورة دارت، على الرغم من كل القيود والإجراءات القمعية لنظام الأسد الديكتاتوري، فقد خرج أحرار سوريا، يريدون استعادة وطنهم الذي صادرته ثلاثة متأمرة، يريدون استعادة الشام، بياسمينها وببادرها التي عطشت كثيراً. وهنا، لم تتدخل الثورة المضادة وحسب، وإنما تدخل العالم كله، لإنقاذ واحد من أسوأ الأنظمة التي حكمت المنطقة.

أذكّر، وقتها، وبعد مضي أشهر قليلة على ثورة سوريا، وال موقف الغريب من المجتمع الدولي، كتبت مقالاً أشرت فيه إلى أن مفتاح سقوط الأسد في تل أبيب. واليوم وبعد سنوات خمس، استخدم فيها الأسد كل ترسانته المتواحشة، واستعان بكل لقطاء الأرض، لحماته من غضبة الشعب السوري، بتبنّي فعلاً أن المفتاح في تل أبيب.

سنوات طويلة وأميركا تضحك علينا وعلى العالم، تارة تتهم المعارضة السورية بأنها غير موحدة، وتارة تقول إن بديل الأسد غير متوفر، وتارة تحارب تنظيم الدولة، وتحشد العالم لقتاله، وتنسى أنه كان نتيجة لتوحش نظام الأسد، وقبله نظام

بغداد الذي زرعته واشنطن عقب الاحتلال.

سنوات طويلة وأميركا تتحدث عن خطوطها الحمراء للأسد، فيصف بالكيماوي، ويقتل بالخردل، ويبتكر البراميل المتفجرة. وبدلاً من ملاحقته، تسمح واشنطن، بعد ذلك كله، لروسيا بالتدخل لإنقاذ الأسد، وتبدأ مرحلة أخرى من مراحل التآمر، ليس على سورية وثورتها وحسب، وإنما على هذه الأمة التي تمللت من رقاد استمر أكثر من 100 عام.

ثم لم تجد واشنطن غضاضةً من تسليح الأكراد الموالين لها، الإرهابيين وفقاً لأعراف أميركا وتعريفاتها للإرهاب، فكان أن تحول حزب إرهابي، مثل العمال الكردستاني، إلى حزب أميركا المفضل في سورية، تحت ذريعة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، كما لم تجد غضاضةً في دعم ميلشيات إيرانية وعراقية، ارتكبت، باعتراف المنظمات الحقوقية الأممية، أبشع جرائم بحق الإنسانية، لم تجد أميركا بدأً من تقديم الغطاء الجوي اللازم لقتال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.

إنها مؤامرة، ليس على سورية، ولا حتى على العراق، وإنما على هذه الأمة التي حلمت بانتعاقها بعد 100 عام من التكبيل والمؤامرات والدسائس والأنظمة القمعية، التي زرعتها اتفاقية سايكس بيكو عام 1916.

قبل 100 عام، شهد العالم اتفاقية سايكس بيكو، بين وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا آنذاك، تم تقسيم العالم العربي، تركـة الرجل المريض، الدولة العثمانية، كما أقنعوا، وأقنعوا من بعدهم كتابـنا ومثقفـونا، ممن تبنـوا فكرة التقسيـم، باعتبارـ أنـ هذا العالم الغربي سيقيم لنا أوطـاناً مستقلـةـ، من دونـ أنـ يجرـؤـ أحدـ منـهـمـ علىـ التـسـاؤـلـ لـخـدـمـةـ منـ يـفـعـلـ الغـرـبـ ذـلـكـ كـلـهـ؟ـ تـنبـهـنـاـ بـعـدـ أـنـ تـحـولـنـاـ إـلـىـ بـقـرـةـ حـلـوبـ لـلـغـرـبـ وـأـفـكـارـهـ، وـبـعـدـ أـنـ زـرـعـ بـيـنـنـاـ أـنـظـمـةـ تـابـعـةـ ذـلـيـلـةـ لـهـ، أـنـهـ وـجـهـ طـعـنـةـ نـجـلـاءـ لـكـيـانـ عـرـبـيـ، كـانـ يـسـتمـدـ قـوـتـهـ مـنـ قـوـةـ إـلـاسـلامـ، تـنبـهـنـاـ بـعـدـ أـنـ كـنـاـ حـطـبـاًـ لـمـؤـامـرـتـهـ ضـدـ الـخـلـافـةـ الـعـثـمـانـيـةـ.

اليوم، وبعد 100 عام من "سايكس بيكو"، يأتي حلف روسيا وأميركا، كيري ولافروف، لوضع قواعد جديدة للعبة في هذه المنطقة، وسوريا والعراق، حجر الزاوية بهذه اللعبة. ومصر بعد رئيسها المنتخب، محمد مرسي، دخلت نفق سنوات قاتمة قادمة. ولبيبا، حيث منابع النفط التي يسيطر عليها لاعب الغرب، دخلت في أتون احتراب داخلي، بينما اليمن على حافة تقسيم جديد قديم، وكل ذلك واليد الإيرانية حاضرة، فهي شرطيـهمـ الـقـدـيمـ الـجـدـيدـ، وهـيـ أـيـضاـ الـتـيـ أـثـبـتـ تـجـارـبـ الغـرـبـ أـنـهـ جـزـءـ مـخـطـطـاتـهـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ.

نشهد اليوم عملية تقاسم وتقسيم للأدوار والمصالح بين موسكو وواشنطن، بين كيري ولافروف، لا تصدقـواـ كـلـ ماـ تـسـمـعـونـهـ فيـ الإـلـاعـامـ، لاـ تـصـدـقـواـ الـمـتـبـاكـينـ عـلـىـ الدـمـ السـوـرـيـ وـالـعـرـاـقـيـ، بلـ توـقـعـواـ أـنـ يـكـونـ الـقـادـمـ أـدـهـيـ. إنـهـ يـسـعـونـ إـلـىـ زـجـ تـرـكـياـ، يـنـتـظـرـونـ تـدـخـلـهـاـ، فـهيـ الـهـدـفـ الـقـادـمـ.